مَجَلّةُ جَامِعَةِ بَابِلَ لِلعُلُومِ الإِنْسَانِيَةِ Journal of the University of Babylon for Humanities
المجلد ٣١/ العدد ٣/ ٢٠٢٣ Vol. 31/ No. 3/ 2023

الغموضُ وأزمة اللُّغةُ الطّبيعيّة: بحثٌ في فلسفة اللغة

خالد خليل هادي
قسم اللغة العربية/كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية / جامعة بغداد
khaled.hadi@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

تاريخ استلام البحث: ١١/ ٢/٢٠٢٣ **تاريخ قبول النشر:** 16/ 2/٢٠٢٣ **تاريخ نشر البحث:** 3/15/ ٢٠٢٣

المستخلص:

يروم البحثُ الوقوفَ على موقف الفلاسفة المحدثين من اللغة، وبيان المواقف التي اتّخذِت إزاءها، وكيف كانت الظاهرة اللغوية سببًا رئيسًا في صياغة الخطاب الفلسفيِّ المتعلِّق باللغة في القرن العشرين، وهو القرنُ الذي شهد ظهورَ كتاباتٍ عالجت الموقف من اللغة، بعنوان(المنعرج اللغوي)، وهي كتاباتٌ حاولت موضعةَ اللغةِ في الإطار الفلسفي، والوقوف على المشاكل والأزمات التي تعانيها اللغة الطبيعية، والمراحل التاريخية التي نظر فيها الفلاسفة اللغويون إلى هذه الإشكاليَّة، وتحديدًا تيار الوضعيَّة المنطقيَّـة، ولا سيما موقف فليسوف اللغة النمساوي لودفيغ فتغنشتين، بوصفه الممثلَ الأبرز لهذا الاتجاه، فخلال مختلف مراحل تطوره المعرفي كان له موقفٌ متميِّزٌ ومختلفٌ جدًا من الظاهرة اللغوية، ومدى علاقتها بالفلسفة، ولا سيما في مراحله المعرفيَّة المتأخِّرة، التي رأى فيها أنَّ مهمةَ الفلسفة تتلخَّص في نقد اللغة.

الكلمات الدالة: الغموض، اللغة الطبيعيَّة، اللغة الاصطناعيَّة، فلسفة اللغة

Ambiguity and the Natural Language Crisis: An Investigation in the Philosophy of Language

Khaled Khaleel Hadi
College of Education /Ibn Rushd University of Baghdad

Abstract

This paper intends to investigate the situation of modern philosophers towards language and highlight their attitudes taken therein, showing how the linguistic phenomenon was a main reason behind the shaping of the philosophical discourse related to language in the 20th century which witnessed some writings which dealt with the attitude to language. Titled “Linguistic Curves”, such writings sought to place language in the philosophical frame to highlight the problems and crises encountering natural language and the historical stages in which linguists-philosophers viewed this problematic issue, namely the logical positivism. The view Ludwig Wittgenstein, the Austrian philosopher who typically represents this attitude is particularly relevant. Through out the various stages of his intellectual development, he had a unique attitude to the linguistic phenomenon, especially in his later intellectual stage in which he saw that the task of philosophy is summarized as being criticism of language .

Key words: ambiguity, natural language, artificial language, philosophy of language

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المقدِّمة:

يُمكن القولُ إنَّ البحثَ في اللغةِ وقضاياها يُعدُّ مبحثًا أساسيًّا من مباحث التفكير الفلسفيّ، فقد دُرِستِ اللغةُ في إطارها الفلسفيِّ تحت عنوان"المنعرج/المنعطف اللغويِّ"؛ بوصفه توجهًا أو قراءةً تبحث في تعامل الفلسفة مع اللغة، إذ ربط عددٌ من الفلاسفة، منهم برانتند راسل(١٨٧٢–١٩٧٠) تقدُّم الفلسفة بمدى توظيف اللغةِ في أبحاثها، وطوَّر لودفيغ فتغنشتين(١٨٨٩–١٩٥١) في مرحلةٍ متأخِّرةٍ من مراحل تطوُّره الفكريّ مفهومَ المنعطف اللغويِّ، واقفًا على أبرز المشكلات الفلسفية، التي قد تكون ناشئةً عن سوء فهم منطق اللغة، فكلا الفيلسوفين آمن بأهميَّة الاعتماد على اللغة في الدرس الفلسفيِّ، على اعتبار أنَّ العالَم لا ينكشف إلا عبر اللغة، وأنَّ مهمَّةَ الفلسفةِ تكمن في بيان العلاقة بين اللغة والواقع، غير أنَّه كان لكلٍّ منهما اتجاهه الخاصَّ في انتخاب نوعيَّة اللغة، التي يجب اعتمادها في عمليَّة التحليل الفلسفيِّ، فرسل اختار اللغةَ الاصطناعيَّةَ سبيلا للبحث في الفلسفة، ووافقه فتغنشتين في أوَّل الأمر، لكنَّه تخلَّى عن أفكار أستاذه، مفضِّلا اللغةَ الطبيعيَّةَ على اللغة الاصطناعيَّةِ؛ لأسبابٍ ستتضح خلال البحث.

لقد كان إيمان فتغنشتين باللغة الطبيعيَّة في مراحلهِ المعرفيَّة المتأخِّرة يمثِّل ردَّ فعلٍ على الاتجاه الفلسفيِّ الذي أبعد اللغةَ الطبيعيَّةَ عن الدراسة العلميَّة، مفضّلا اللغة الصوريَّة/الاصطناعيَّة، المُعتمِدة على الرموز، على اللغة الطبيعيَّة، فهو يعتقد أنَّ ألفاظ اللغة الطبيعيَّة "وتعبيراتِها قد تعوزها الدّقّةُ، ويكتنفها الغموض والالتّباس واشتراكُ المعاني بين كلماتِها، وكان وجهُ الحاجةِ للُغةِ الصوريّة "هوَ الوعي بما في اللُّغةِ العاديّة – وهي ما نتكلَّمُها جميعًا في حياتنِا اليوميّة – من غموضٍ وقصورٍ ونقصٍ، فهنالك كلماتٌ ليسَ لها معنًى محدَّدٌ، وكلماتٌ أُخرى معانيها مُتداخِلة، كما أنّ اللُّغة العاديّةَ بمفرداتِها المألوفةِ قاصرةٌ عمَّا نريدُ التّعبيرَ عنه"[١:ص٣٠].

ويجدُ الباحثُ لدى فلاسفةِ اللغةِ مجموعةً من الآراءِ والكتاباتِ التي حاولت مناقشةَ فكرةَ الغموض وعدم التحديدِ، الذي تعيشه اللغة الطبيعية، وعرض البحث أهم الأفكار التي قاربت هذا الموضوع، وهي أفكارٌ صاغها بالأساس علماء ينتمون إلى ما بات يُعرف اليوم بـــ"فلسفة اللغة"، يوجب أنصارُه النظرَ إلى العالم عبر اللغةِ، فمن أراد أنْ يفهم العالم يجب عليه أن ينطلقَ من اللغة، ويحاول الكشفَ عن العلاقة بين اللغةِ والواقعِ، وكلُّ هذه القضايا تُعالج في ميدان معرفيٍّ بات يُعرف ب"فلسفة اللغة"، بوصفه"مجموعةً مترابطةً من الدراسات، يعكف عليها المناطقةُ الفلاسفةُ، تنشأ عمَّا يُقلقهم من أسئلة، ومشكلات تتعلَّق باللغة، كما أنَّ علماء اللغويَّات حين تطوَّرت علومُهم ذهبوا إلى الخوض فيها، وبحث مسائل منطقية أو فلسفية تنشأ عن أبحاثهم اللغوية"[١:ص٧–٨]، وقد عالج البحثُ هذه القضايا من طريقِ الكلامِ على التصنيفِ الفلسفيِّ للغات، ثم ركّز في تيَّار الوضعيَّة المنطقيَّة، وتحديدًا تحوُّلات فتغنشتين المعرفيَّة اللغويَّة، وأخيرًا وازن بين آراء الأخير وموقف سوسير من اللغة وتصوُّراته عنها، وهي موازنةٌ يجد الباحثُ حضورَها الكبيرَ في الأكاديميَّات الغربيَّة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

التصنيفُ الفلسفيُّ للغات:

يستعملُ الدارسون مصطلحَ الغموضِ للإشارة إلى أنّ هناك شيئًا ما غير واضحٍ أو ملتبسٍ أو مبهمٍ، أو غير محدّد، وهو مصطلحٌ يشيع تداولُه في كثير من المباحث الفلسفيَّة واللغويَّة والمنطقيَّة والميتافيزيقيَّة، لكنَّه يرتبطُ ارتباطا مباشرًا باللغة، حتى قيل: إنَّ الغموضَ سمةٌ أساسيَّة من سمات اللغة الإنسانيَّة.

ولا شكّ في أنّ اللّغات الطبيعيّة – أيّ اللّغات الّتي يستعملها الإنسان في التواصل وتراسل المعلومات – ليست كلّها على درجة واحدة من الدقّة والوضوح، فهي تتوافر على كمٍّ كبير من الغموض، إذ يستعمل الإنسان في أحيانٍ كثيرةٍ عددًا من الألفاظ لوصف الهيئة أو بيان الكميّة، ومع ذلك يبقى الغموض يلفُّ العباراتِ من دون القدرة على التخلّص منه تمامًا؛ لذلك عدَّ بعضُ الدارسين اللغةَ وسيطًا ضعيفًا للتواصل.

لقد وقف فلاسفة اللغة على مُشكل الغموض الذي يكتنف اللغةَ الطبيعيَّة، وقدَّموا في هذا الصدد آراء مهمَّةً تسعى إلى تخطّي هذا المُشكل، الذي استحال إلى أزمةٍ تواجه أبحاثهم الفلسفيَّة، وقد كان وعيُهم بهذا المُشكل سببًا ومقدمةً لظهور حركة فلسفيَّة قويَّة شاعت في بدايات القرن الماضي بعنوان (المنعطف اللغويّ)، رأت أنَّ اللغة هي موضوع الفلسفة المفضّل؛ وأشاروا إلى وجود نمطين من اللغات، تُستعمَلان للتعبير عمَّا يريده الإنسان: الأوّل: اللغةُ الطبيعيَّة أو العاديَّة، وهي لغةُ الكلام اليوميّ الذي يستعمله الأفرادُ للتعبير عمَّا يرغبون فيه، والثانية: اللغةُ المثاليَّةُ أو الاصطناعيَّةُ، أو اللغة الكاملة منطقيًّا، وهي لغةٌ صوريةٌ رمزيَّةٌ، تعتمد الرموزَ للتعبير عن الأفكار.

وفي سياق التعاطي الفلسفيّ مع هاتين اللغتين نجد أنَّ عددًا من فلاسفة اللغة أوجبوا أن تكون اللغةُ الاصطناعيَّةُ هي ميدانَ البحث الفلسفيّ؛ لرغبتهم في أن تكون أبحاثُهم قريبةً من العلوم الطبيعيَّة الصُلْبة ومحاكيةً للصرامة والدقَّة التي تتوافر عليها تلك العلوم، وهم إنَّما يلجؤون إليها؛ لاعتقادهم أنَّ اللغات الطبيعيَّة غيرُ محددة الدلالة، وفيها قصورٌ وغموضٌ دلاليان، وهو قصورٌ وغموضٌ يرجع إلى تعدُّد التفسير الدلاليّ الذي يُمكن أن يعتري الألفاظَ في أثناء استعمالها، ولكلٍّ من هاتين اللغتين ميدانُهما الاستعماليُّ الخاصُّ بهما، وقد كان لفلاسفة اللغة موقفان متمايزان من كلٍّ من النمطين اللغويين الاستعماليين، أعني اللغة الطبيعيَّة واللغة الاصطناعيَّة، وقد بدأ هذا الاتجاه مع الفيلسوف الألماني ليبنتز(١٦٤٦-١٧١٦)، الذي حاول إيجادَ بنيةٍ لغويّةٍ منطقيّةٍ صارمةٍ علميًا؛ لتكونَ آليّةً عالميّةً للتفكيرِ بوساطة رموزٍ ثابتةٍ تصلحُ أن تكونَ أساسًا لقوالبِ كتاباتِ العلم بشَكلٍ عامّ والرّياضيّاتِ بشَكْلٍ خاصّ"[٢:ص٤٩-٥٠] والوصول إلى الحقيقةِ باستعمالِ رموزٍ ثابتة واضحةٍ للتعبير عن الأفكارِ حتّى يحققَ الصّرامةَ العلميّةَ في الفلسفة، فكان (ليبنتز) أوّلَ من وضعَ أُسُسَ المنطقِ الرّياضيّ؛ للخلاصِ من مثالبِ اللُّغةِ الطّبيعةِ، فانتبه إلى هذا الأمرِ حين لم ينتبه إليه أحدٌ، مُعلنًا أنَّ الفلسفةَ تكمنُ جلُّ مشكلاتِها في اللُّغةِ؛ ويمكنُ القولُ: إنّه وضعَ الحجرَ الأساسَ للمنطق الرّياضيّ وللُغةِ المِثاليّة. ساعده في ذلك تكوينُهُ الفلسفيُّ والرّياضيّ في إيجادِ أنساقٍ رمزيّةٍ تعبيريّةٍ ترتقي بالمعرفةِ وتيسّرُ وصفَها، "وقد تركّزت جهودُهُ على وضعِ برنامجٍ عامٍّ للُغةٍ عامّةٍ تستخدمُ الرّموزَ الجبريّةَ بدلَ الكلماتِ وتشترطُ أن تكونَ اشتقاقيّةً، مِثْلَ لُغةِ الرّياضيّات لكنّها في الوقتِ نفسِه تختلفُ عن اللُّغةِ الرّياضيّةِ في كونِها لُغةً عامّةً تستخدمُ مفاهيمَ منطقيّة"[٣:ص١١٢]. لقد أدرك (ليبنتز) الحاجةَ إلى الرّموزِ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الرّياضيّةِ في تكوينِ اللُّغةِ العالميّة "مهتديًا في ذلك بوصيتِه الخالدةِ الّتي يقولُ فيها للفلاسفة والباحثين: إذا أردتم عدمَ الاختلافِ قوموا بالحساب"[٢:ص ٥٠].

إنَّ الإشكاليَّات التي طبعتِ اللغةَ الطبيعيَّةَ أو العاديَّة، ولا سيما قضية الغموضِ الدلاليِّ، وعدم وجود محدِّدٍ للمعنى، واحتمالية اشتمال المفردات على أكثر من معنى هي التي دفعتْ فلاسفةَ اللغةِ إلى اجتراح ما بات يُعرَف في الأدبيَّات الفلسفيَّة واللسانيَّة بـــ"اللغة الاصطناعيَّة"، وهي لغةٌ يرى الفلاسفة أنها لغةٌ رمزيَّةٌ منطقيَّةٌ، يُمكن أن يفهمها الجميعُ، وتكون دلالاتُها واضحةً ومحددةً، وهو وضوحٌ يُجنِّبنا –بحسب آرائهم– الكثيرَ من الإشكالات التي تنتج عن استعمال اللغة الطبيعيَّة.

ومن الجدير بالتنويه أنَّه لا توجدُ لغةٌ اصطناعيَّة واحدة، فهنالك لغاتٌ اصطناعيَّة، تتعدَّد بحسب تعدُّد العلوم والمعارف، فلكلِّ علمٍ من العلوم الطبيعيَّة جهازُه الاصطلاحيُّ الخاصُّ به، لا يُدركه إلا أصحابُ العلم نفسه "فلدينا لغةُ ميكانيكا جاليلو، ولغة فيزياء نيوتن، ولغة الذرة عند نظرية الكوانتم، ولغة نظرية النسبية في الطبيعة والفلك، ولغةُ علم أحياء الخليَّة الحيَّة، ولدينا أيضًا لغةُ الرياضيَّات برموزها ومعادلاتها وقوانينها ونظرياتها"[١:ص ٢٩].

إذا انطلقنا من الفرضيَّة المتعلِّقة بتأريخ الأفكار، وهي فكرةٌ مركزيَّةٌ في البحث الإبستمولوجيّ فسيجد الباحث أنَّ الحديثَ عن اللغة الاصطناعيَّة تعود من حيث جذورُها إلى الفلاسفة، فقد دعا عددٌ منهم إلى الوقوف على اللغة المثاليَّة أو الاصطناعيَّة، والتأسيس لها، وكانت بواكيرُ هذه الدعوة قد صيغت على أيدي مجموعةٍ من الفلاسفة، منهم ليبنتز في القرن الثامن عشر وراسل وكارناب(١٨٩١–١٩٧٠)، وفريجه(١٨٤٨–١٩٢٥) وفتغنشتين في بداية القرن العشرين، غير أنَّ هذا المشروع بدأ بصورة فعليَّة مع راسل وفتغنشتين، في إطار نظريةٍ أسمياها(نظرية الذريَّة المنطقيَّة)، واشتغلا عليها منذ العام١٩١٢، وقد دافعا عنها مدة عشرين عامًا، مؤسِّسين في ذلك تيارًا فلسفيًّا علميًّا، وهو تيارُ الوضعيَّةِ المنطقيَّة، الذي تعامل مع العلم على أنَّه النشاطُ العقليُّ الأوحد[٤:ص٧٢]، وهو مقصورٌ على فئتين فقط من الباحثين: العلماء الذين يقومون بجمع البيانات وعمل التجارب، والفلاسفة الذين يقومون بتحليلاتٍ منطقيَّة تُساعد في تقدُّم العلم وتطوره، ويؤدي ذلك إلى مفهومِ غايةٍ في الأهميَّة، وهو أنَّ الفلسفة تصبح نتيجة ذلك بالكامل علميَّة، تنطلق من العلم وللعلم، أمَّا عن الميتافيزيقيا، الجماليات، الأخلاقيات، الفضائل، السياسة، فكلُّ تلك العبارات هي عباراتٌ انفعاليَّةٌ وجدانيَّةٌ تمثِّل عوالم السبح الطويل في التأمل، فلا معنى لها.

يُؤمن تيَّار الوضعيَّة المنطقيَّة أنَّ سبيلَ المعرفةِ الوحيد يكمن في التجربة وحدها، وقد جاء ردًّا على هيمنة النزعة اللاهوتيَّة والمتيافيزقيَّة على البحث العلميِّ، إذ كانت الوضعيَّة في البدء مثلما أسَّسها أوغست كونت وضعيَّةً علميَّةً، تقوم على الملاحظة، ونسبيَّة المعرفةِ البشريَّة ومحدوديتها، "لكن هذه الوضعيَّة تطوَّرت فيما بعد وتحوَّلت من نموذجِ النسبيَّة المفتوحة إلى نموذج النسبيَّةِ المغلقةِ، أي الانغلاق التامُّ على العلم التجريبيِّ، فوحده يمتلك المعنى القابل للتحليل الرياضيِّ اللغويِّ، ووظيفة الابستمولوجيا تحليلُ لغة العلم وصياغتها رياضيًّا وترميزها، عندها تكون العلوم ذات معنى وصرامة علميَّة"[٥:ص ٧٠؛ ٦:ص١٢].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

لقد قامتِ الوضعيَّةُ المنطقيَّةُ بقصر موضوع العلم على العلوم ذات المنحى الطبيعيِّ الصرِف، وحاولت إزاحةَ العلوم ذات الطبيعة والنزعة الإنسانية؛ لأنَّها أحسَّت بأزمة اللغة الطبيعيَّة التي تعتمدها، وعدَّتها عائقًا إبستمولوجيًّا، يحول دون الوصول إلى نتائجَ علميَّةٍ صارمةٍ، وصارت المفاهيم استنادًا إليها مصوغةً بطريقةٍ رياضيَّة؛ لأنَّهم آمنوا أنَّ ترييض المعرفة هو السبيلُ الحقيقيُّ للوصول إلى نتائجَ بحثيَّةٍ دقيقةٍ وسليمة، فضلا عن أنَّ ما حصل هو محاولةٌ لاستبعاد الإنسان والتاريخ، والمجتمع، والاقتصار على بنية العلم الداخلية؛ بحجة الدفاع عن العلم وتخليصه من الميتافيزيقيا[٥:ص٧١].

يُمكن القول استنادًا على ما تقدَّم إنَّ الأساسَ المعرفيَّ الذي استند إليها فلاسفةُ اللغة القائلون باللغة الاصطناعيَّة واعتمادها بديلا من اللغة الطبيعيَّة هو الفلسفة الوضعيَّة، على نحو ما اتَّضح، وهو اتجاهٌ بحثيٌّ يسعى إلى مواجهة الإشكالات التي واجهتِ الفلسفة، فمن المعروف في تاريخ المعرفة أنَّ الأزمات التي تُعانيها العلوم هي التي تُؤدي إلى انبثاق نظريات جديدة، تُحاول تخطِّي الإشكالات التي تُواجهها النظريَّةُ العلميَّة، وقد دافع كلٌّ من راسل وتلميذه فتغنشتين عن هذا المبدأ مدَّة عشرين عاما، لكنَّ الأخير تخلَّى عنه، في معرض تشخيصه لعددٍ من الأزمات التي تواجه هذه الفكرة، في حين بقي راسل مؤمنًا بهذا المبدأ، بوصفه الطريقَ الأمثلَ لدراسة المباحث الفلسفيَّة.

لودفيغ فتغنشتين وتحولاته المعرفية:

يُشير هانس سلوجا[٧:ص٢٤] إلى أنَّ فتغنشتين قد مرَّ بثلاث مراحل معرفيَّة، كانت كلُّ واحدةٍ منها تمثِّل قطيعةً معرفيَّةً مع المرحلة التي سبقتها، أو تطويرًا وتعميقًا وتنظيرًا لمبادئ مرحلةٍ سابقة، وقد كانت هذه المراحلُ أساسًا في تشكيل خطابه الفلسفيِّ المتعلِّق باللغة، وموقف الفلسفة منها، وهذه المراحل هي:

١- فتغنشتين المبكِّر(١٩١١-١٩٣٠).
٢- فتغنشتين المتوسِّط، وتُسمَّى هذه المرحلة بالمرحلة الانتقاليَّة(١٩٣٠-١٩٣٦).
٣- فتغنشتين المتأخِّر(١٩٣٦-١٩٥١).

في حين يرى باحثون آخرون أنَّ ثمَّة مرحلتين معرفيتين عرفتها مقاربةُ فتغنشتين الفلسفيَّة للغة، من طريق دمج المرحلتين الثانية والثالثة في مرحلةٍ واحدة، ذلك أنَّهم يجدون أنَّ المرحلة الثالثة لم تكن سوى تطويرٍ وتعميقٍ وحفرٍ للمرحلة الثانية، وهو ما أكَّده فهمي زيدان[١: ص٢٥]

لقد كان الموقفُ من اللغةِ والنظرة إليها هو الأساسَ الذي يُعتمَد عليه في هذا التحقيب لفكر فتغنشتين، فقد واجهتِ الفلسفةُ إشكالاتٍ مهمَّةٍ، كانت سببًا في تأخُّرها قياسًا ببقية العلوم، إذ "ساد اعتقادٌ في بعض الأوساط الفلسفيَّة أنَّ اللغةَ الفلسفيَّة ربما تكون هي مصدرَ القصورِ في تاريخ الفلسفة، ما يستلزم البحث عن لغةٍ جديدةٍ في التعبير عن إشكالاتها، تتَّسم بالدقةِ والوضوحِ والموضوعيَّة والخروج من التباسات اللغة العاديَّة وغموضها وتهويماتها ومجازاتها، وقد شكَّلت الرياضياتُ بالنسبة لبعض الفلاسفة مثلا أعلى يُحتذى به، من حيث دقتها وموضوعيتها ولغتها الرمزيَّة التجريديَّة التي لا تقبل التأويلَ الخاطئ والمُلتبس"[٨ :ص٧٢]، وقد كانت هذه الفلسفةُ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

هي المرجعيَّةَ المعرفيَّةَ التي تشكَّلت منها أفكارُ فتغنشتين في مرحلته الأولى(المبكِّرة)، إذ تأثَّر في مرحلته المبكرة بالفلاسفة الوضعيين، وهم كلٌّ من الفيلسوف الانكليزي برتراند راسل والألماني رودولف كارناب، لكنَّ التأثر الأكبر كان بأفكار راسل، ولا سيما في كتابه"مبادئ الرياضيات" [٢:ص٧٣]، الذي كان سببًا في القول باللغة الاصطناعيَّة، وتفضيلها على اللغة الطبيعيَّة، فقد نظر فتغنشتين إلى اللغة في مرحلته المبكرة وكأنها تمتلك منطقًا واحدًا وماهيَّةً واحدة، وكان ينظر إليها من منطلق نزعةٍ صوريَّة، مفضلا اللغة الاصطناعيَّة على اللغة الطبيعيَّة؛ لأنَّ الأخيرة-بحسب اعتقاده- تتوافر على كمٍّ كبيرٍ من الغموض، وكانت مصدرَ إحباط للفلاسفة؛ لذلك دعا الفلاسفةُ إلى تجاوزها واجتراح لغةٍ صوريَّةٍ قريبةٍ من لغة الرياضيات؛ ذلك أننا إذا تفحَّصنا اللُّغاتِ الصوريّةَ أو الاصطناعيّةَ نجدُها تتميزُ بالتّحررِ الكبيرِ من السّياقِ الّذي أكسبها الدّقةَ والوضوحَ والصدقَ وهي "أقانيمُ ثلاثةٌ مقدّسةٌ يتعلّقُ بأهدابِها كُلُّ المناطقةِ كما يتعلّقُ بها بعضُ الفلاسفة الّذين هم أيضًا مناطقة"[١:ص٤١].

ويُمكن القول: إنَّ تيارَ الوضعيَّة المنطقيَّة قد وَرِث هذه الصرامةَ النقديَّةَ من وضعيَّة أوغست كونت(١٧٩٨-١٨٥٧)، ولا سيما مع فتغنشتين في مرحلته الأولى، التي يرى فيها أنَّ القضايا الفلسفيَّةَ تُعالج فقط مقولات العلم الطبيعيِّ، عبر لغةٍ علميَّة اصطناعيَّة صارمة، معتمدًا في ذلك على(نظريَّة الذريَّة المنطقيَّة)، وهي نظريةٌ تسعى إلى الإجابة عن سؤالٍ مؤداه، مِمَّ يتألَّف العالم؟ ما أنواع القضايا التي تعبِّر عن هذه الموجودات؟ يُعلِّل راسل سبب تسميتها بالنظريَّة الذريَّة؛ لأنَّها "تردُّ كلَّ ما نُدركه في العالم من أشياء أو وقائع إلى أبسط أجزائها، ويسمِّي النظريَّة ذريَّةً منطقيَّةً؛ لأنَّ الذرات التي نودُّ الوصول إليها ذراتٌ منطقيَّةٌ لا فيزيائيَّةٌ، ولذلك تستعين النظريَّة بالمنطق في صياغاتها، ويتبيَّن من ذلك أنَّ اللغة التي تستخدمها النظريَّةُ ليس اللغة العاديَّة، وإنَّما لغةٌ صناعيَّة جديدة"[١:ص٣١]، ويؤكِّد الدكتور فهمي زيدان أنَّ هذه النظريَّة تقوم على أساس منهج التحليل؛ لذلك أُطلق على فلسفتهم(الفلسفة التحليليَّة)، أي تحليل الكائنات المركَّبة إلى كائناتٍ بسيطةٍ يُمكن إدراكها من طريق تجريبي مباشر[١:ص٣٢]، وقد ألقت هذه النظريَّة بظلالها على البحث اللسانيِّ، إذ نرى أنَّها ربَّما تتوافق مع النظرية التي تبنَّاها اللسانيُّ الأمريكي زيلج هاريس(١٩٠٩-١٩٩٢)، في نظريته، الموسومة بـــ(التوزيعية، أو التحليل إلى المكونات المباشرة)، وعلى الرغم من اختلاف الأصول المعرفيَّة لكلتا النظريتين، لكنَّهما تتفقان في أنَّهما يستشعران الإشكاليات التي تكتنف الركون إلى اللغة الطبيعيَّة، نظرًا لعدم تحديد دلالة مفرداتها وغموض عددٍ من ألفاظها، وهو المُشكِل الذي كان سببًا في لجوء هاريس إلى التحليل إلى المكونات المباشرة؛ هروبًا من مشكل الدلالة[٩ :ص٢٢٩].

ويمكن القول أخيرًا: إنَّ أوغست كونت شكَّل مرجعيَّة معرفيَّة للوضعيَّة المنطقيَّة والنظريَّة الذريَّة والتحليل إلى المكونات المباشرة.[٨:ص ٧٠].

أما المرحلة الثانية من مراحل تطور رؤية فتغنشتين، وهي التي يُسمِّيها الباحثون بالمرحلة الانتقالية، فهي المرحلة التي تخلَّى فيها التلميذُ عن رؤى أستاذه راسل، وهي مرحلةٌ تُسمَّى بمرحلة الصمت الفلسفي التي عاشها فتغنشتين على مدى عشرة أعوام؛ لأنَّه اعتقد أنَّه قد أجاب عن كلِّ الإشكالات المتعلِّقة بمشكلات الفلسفة؛ إذ رفض التلميذ في هذه المرحلة القول بوجود منطق واحد للغة بل آمن بوجود أنواع كثيرة"فهناك ممارساتٌ لغويَّةٌ مختلفةٌ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومشروعةٌ، ولكلِّ ممارسةٍ منطقهُا الخاصُّ، وليست اللغةُ وحدةً تمتلك تحت مظاهرها السطحيَّة بنيةً تحتية واحدةً، وإنَّما اللغةُ فاعلية تُشبه أكثر ما تُشبه ممارسة اللعبة، وألعابُ اللغة كثيرةٌ ومتنوعةٌ، ولا يُكمن المعنى في علاقة التصوير بين القضيَّة والواقعة أو علاقة الإشارة أو التمثيل بين الكلمة والشيء، وإنَّما معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة، وعلى هذا النحو يقدِّم فتغنشتين أفكارًا جديدةً في معالجته لكيفيَّة عمل اللغة في طليعتها ألعاب اللغة وتشابه العائلة، وبدلا من نظريَّة الصورة في المعنى تأتي نظريَّةُ الاستعمال في المعنى"[٧:ص٢٤-٢٥].

لم يكن فتغنشتين أوّل القائلين بضرورة اعتماده اللغة الطبيعيَّة في البحث الفلسفي، فقد سبقه في ذلك أستاذ الفلسفة في جامعة كمبرج جورج مور(١٨٧٣-١٩٥٨)[٢:ص٢١]، الذي رأى ضرورة اعتماد اللغة الطبيعيَّة أساسًا في البحث الفلسفيِّ، وإمكانية إنزال الفلسفة من سماء المجرَّدات واللامعقول إلى أرض الواقع وكلام الناس العاديين. لكنَّ الغاية والأهداف مختلفةٌ بين الفيلسوفين، ذلك أنَّ غاية مور من اعتماده اللغةَ الطبيعيَّةَ تعود إلى رغبته في الدفاع عن معتقدات الناس البسيطة الموجودة في حياة الناس العاديين، فضلا عن رغبته في مواجهة نزعة الشكِّ التي يُثيرها عددٌ من الفلاسفة ضدَّ المعتقدات البريئة للناس العاديين، لكنَّه مع ذلك دعا إلى ضرورة تشذيب اللغة العاديَّة، لكي تكون مؤهلةً للبحث الفلسفيِّ، وهو توجُّهٌ يختلف عن توجُّه فتغنشتين القائم كليًّا على اعتماد تلكم اللغة، والتفصيل فيها والتنظير لها، وجعلها المعيارَ الذي نحكم به على صحة أو بطلان ما نقوله من عبارات[١:ص ٥٩؛ ١٠:ص ٧]، على نحو ما سيتضح لنا.

لقد كانت رؤيةُ اللغة على أساس أنَّها نمطٌ من الألعاب اللغويَّة هي السمة المميِّزة لتفكير فتغنشتين اللغويِّ في هذه المرحلة، وهو المفهومُ الذي كُتِب له الذيوع والانتشار، وأصبح علامةً مميَّزةً في تفكيره، فقد سعى عبره إلى لفت انتباه الباحثين إلى وجود تماثل بين اللغة واللعبة، فكلاهما نمطٌ محكومٌ بقواعد، لا يمكن للفرد أن يتخطَّاها، وهو هنا يتخلَّى عن القول بوجود نمطٍ واحدٍ صارمٍ للغة(اللغة الاصطناعية)، وعدَّه خطأً فادحًا، وتجاوز ذلك لصالح الإيمان بوجود أنماط وقواعد استعمالية متعدِّدة، وهذه القواعد هي التي تحكم عملها وتُحدِّد معناها" فمعنى الكلمة يتمُّ تعلُّمه عبر استعمالها بالطريقة التي يُتَعلَّم بها الشطرنج عبر فهم كيفيَّة تحريك القطع، ويتمُّ التفكير في القضيَّة على أنَّها حركةٌ في لعبة، وتستمدُّ معناها من اللعبة التي هي جزءٌ منها، ومعنى القضية هو دورها في اللغة"[٧:ص٢٥].

لقد آمن فتغنشتين في هذه المرحلة بفرضيَّة أنَّ اللغة ليست شيئًا واحدًا متماثلا، ولا تؤدي وظيفةً واحدةً، كما كان يؤكِّد في مرحلته الأولى، بل أصبحت اللغة عنده تؤدِّي وظائفَ كثيرةً، فالإنسان يستعمل اللغة للتعبير عن المشاعر والانفعالات والوصف والتقرير والشكر والتحية والدعاء وغيرها كثيرٌ، وكلُّ استعمالٍ من هذه الاستعمالات هو لعبةٌ لغويَّةٌ لها قواعدُها وأنماطُها، وهي جزءٌ من الفاعليَّة الاجتماعيَّة للفرد، وعليه يكون لكلِّ نمطٍ استعماليٍّ قواعده الخاصة، ولا يمكننا أن نتعامل مع هذه الأنماط على أساس أنَّها كلٌّ واحدٌ متطابقٌ، ولا يُمكن أن نصوغَ للغة معنىً واحدًا صارمًا، على نحو ما كان يؤمن في مرحلته الأولى.

ويُشير الدارسون إلى أنَّ الأساس المعرفيَّ الذي انطلق منه فتغنشتين في النظر إلى اللغة على أساس أنَّها نمطٌ من الألعاب اللغويَّة يعود في أصوله إلى رفضه القول بما يُعرَف باليقين الفلسفي، تلك الرؤية التي آمن بها

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

رينيه ديكارت الذي جعل اليقين هو الشرط الأوّل للمعرفةِ، وهنا يسأل فتغنشتين هل اليقين شرطٌ أساسيٌّ في المعرفة؟ وللإجابة عن هذا السؤال يرفض القول بأيِّ معنى لليقين المطلق، ويرى نسبيته، بمعنى أنَّ القضيَّة تكون صادقةً أو كاذبةً، استنادًا إلى النسق الذي تنتمي إليه"فلا تستمدُّ القضيَّةُ التجريبيَّةُ صدقها ويقينها من علاقة التوافق بينها وبين الواقعة التي تُشير إليها، ولكن من علاقة الاتساق أو عدمه التي تربطها مع النسق الفكريِّ الذي تكون جزءًا منه"[١١:ص١٠٣]، ويُشير هذا النصُّ إلى إيمان فتغنشتين بفكرة أنَّ لكلِّ قضيَّةٍ نسقها الخاصُّ الذي يتحكَّم بها، وهذا يؤدِّي إلى القول بفكرة النسبيَّة ورفض فرضيَّة اليقين المطلق، وهو الأساسُ الذي حكم نظرته للغة في هذه المرحلة، وآمن بفكرة وجود أنساقٍ هي التي تحكم القضايا، وكلُّ نسقٍ يشتمل على مجموعة من القضايا التي ترتبطُ بشبكةٍ من العلاقات، فيقينيَّة أيّ قضيَّة مرتبطةٌ دائمًا بمقولة النسق الذي يحتويها[٨:ص٧١]، وقد أوضح الفيلسوف الفرنسيُّ فرانسوا ليوتار(١٩٢٤-١٩٩٨) مقولة اختلاف الأنساق في تحديد الألعاب اللغويَّة إذ يرى أنَّ كلَّ نسقٍ يمتلك لعبةً لغويَّةً تخصُّه، ولا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال إقامةُ أيِّ تواصلٍ بين لعبة لغويَّة وأخرى، مما يجعل كلَّ نسقٍ مستقلا تمام الاستقلال عن الآخر، وعندما نمحو الفروقَ بين الأنساق ونلجأ إلى دمج الألعاب اللغويَّة انسياقًا وراء تشكيل سرديَّةٍ كبرى فإنَّنا هنا نكون قد وقعنا في فخِّ الميتافيزيقا، ويؤكِّد أنَّه من غير المُمكن تشكيلُ فلسفةٍ واحدةٍ شارحةٍ لكلِّ المستويات والأنساق، فذلك أمرٌ لا معنى علميًّا له في فلسفة فتغنشتين [٨:ص ٧١-٧٢].

ويمكن القول: إنَّ مصطلح اللغة في المرحلة الثانية من مراحل فتغنشتين المعرفية قد اختفى لصالح مصطلح ألعاب اللغة.

وفي مرحلته المعرفيَّة الثالثة، التي هي بالأساس امتدادٌ لمرحلته الثانية، تمكَّن فتغنشتين بعد التحاقه بجامعة كمبرج من التأسيس لفلسفةٍ تباين فلسفة أستاذه راسل التحليليَّة، والدعوة إلى اتجاه فلسفيٍّ هو(فلسفة اللغة العادية)، على الرغم من سيطرة الفلسفية التحليلية على جامعة كمبرج، حتى إنَّ تأثيره امتدَّ لجامعة أكسفورد، وصار له طلابٌ ومريدون، ونتيجةً لهذا التأثير الذي أسَّس له فتغنشتين صارت جامعة أكسفورد معقلا لتيَّار فلسفة اللغة العاديَّة، ومن أبرز المتأثِّرين به رائدُ الدرس التداوليِّ جون أوستن؛ لأنه وجد في فلسفة فتغنشتين العاديَّة مرجعيةً نظريَّةً مهمَّةً، يُمكن الإفادة منها للتأسيس النظريِّ والتطبيقيِّ لمبادئ التداوليَّة، التي تعتمد اللغةَ الطبيعيَّةَ في وضعها الاستعماليِّ.[١:ص٤٧]، ولاسيما قول فتغنشتين عن تعدُّد وظائف اللغة، وعدم إمكانيَّة قصرها على وظيفةٍ واحدةٍ هي التقرير، وقال بوجود وظائف استعماليَّة أخرى تؤدِّيها اللغة، وقد شكَّلت هذه الرؤية أرضيَّةً خصبةً للتأسيس لنظريَّة أفعال الكلام، التي تشيع في البحث التداوليِّ، استنادًا إلى مقولات فلسفة اللغة العاديَّة [١٠:ص ٢٨٨-٢٨٩].

لقد كُتِب لفلسفة اللغة العاديَّة، المعنيَّة بالاستعمالات اللغويَّة اليوميَّة الذيوع والانتشار في ستينيَّات وسبعينيَّات القرن الماضي، لا سيَّما بعد أفول اللسانيَّات البنيويَّة، التي غيَّبت الإنسانَ من مقاربتها اللسانيَّة، حتى إنه قد اُستثمرِت الكثيرُ من مقولاتها النظريَّة في التأسيس للاتجاه التداوليِّ في اللغة؛ لأنَّ العالَم في سبعينيَّات القرن

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الماضي كان مشغولا بالحديث عن حريَّة الإنسان والكلام على فردانيَّته وقدرته على التغيير، وهو أمرٌ يتفق مع ما تدعو إليه فلسفة اللغة العادية، التي يكون الإنسان العادي محورها الأساس.[١٢:ص ٤٦٢-٤٦٣؛ ٥:ص ٢٧٢].

تصوُّرُ اللغةِ بين سوسير وفتغنشتين

يلحظ القارئ أنَّ ثمة علاقةً مُفترضةً بين التصوُّرات اللغويَّة التي عرضها فتغنشتين، وما بثَّه دي سوسير(١٨٥٧-١٩١٣) في نصِّ المحاضرات، وتحديدًا تصوره للغة على أساس أنَّها لعبةٌ، وكلامه على النسق، وضرورة عدم الخلط بين الأنساق والتصوُّرات المتعارف عليها في اللسانيات البنيويَّة، وهذا التناغمُ الفكريُّ بين الآراء قد يشي بحصول لقاءٍ معرفيٍّ بين المفكِّرَين، وهو لقاءٌ لا يُقرُّ به على نطاقٍ واسع.

ولا حاجةَ بنا إلى التأكيد على أهميَّة هذين العلَمَين المعرفيَّة، فقد كان لهما دورٌ كبيرٌ في صياغة الكثير من الأفكار والسجالات في مباحث العلوم الإنسانيَّة والطبيعيَّة التي سادت في القرن الماضي.

لقد أصبح هذا التشابه في النظر إلى قضايا اللغة ميدانًا لكتاباتٍ لسانيَّةٍ وفلسفيَّة متعدِّدة، ناقشت أفكارَ الرجلين، التي قد تبدو للوهلة الأولى متناغمةً فيما بينها، على الرغم من أنَّ كلا الباحثين ينتمي إلى تقليدين معرفيين وأكاديميين مختلفين، لكنهما متوحِّدان في النظر إلى اللغة على أنَّها المفتاحُ المهمُّ لفهم العالم من حولنا.

وقبل الدخول في مناقشة الآراء المتعلِّقة بصدد العلاقة المعرفيَّة المفترضة بين الرجلين يجب التأكيد على السياق التاريخي الذي صاحب نصوص العالمَيْنِ، يُشير روي هاريس في هذا الصدد إلى ذلك بقوله:"بينما كان سوسير يقدِّمُ محاضراته المؤثِّرة في علم اللغة في جنيف، كان الشاب فتجنشتين يدرس الهندسةَ في مانشستر، وعندما بدأ فتجنشتين كتابة أطروحته المنطقيَّة الفلسفيَّة، كان سوسير قد قضى نحبه منذ زمن، وبالرغم من أنَّ بعض الأشخاص في حلقة أصحاب فتجنشتين(س.ك.أوجدن على سبيل المثال)كانوا يعرفون كتاب سوسير(محاضرات في علم اللغة العام)فإنا لا نجد ما يُشير إلى أنَّ فتجنشتين قد قرأه على الإطلاق...لذلك فإنَّ التأثير المتبادَل في فكر سوسير وفتجنشتين بصدد اللغة يبدو بعيدًا عن مجال النقاش بحسب الدليل المتوفر"[١٣:ص٣١]؛ لذلك يستبعد هاريس أن يكون فتغنشتين قد اطَّلع على نصِّ المحاضرات، لكنَّه مع ذلك أقرَّ بوجود تشابهٍ بين الفكرين، ولا سيَّما في تبني الاثنين تشبيه اللغة باللعبة، وجعلها أساسًا في أبحاثهما.

ويذهب عبد الرزاق بنور مترجمُ كتاب فتغنشتين(تحقيقات فلسفيَّة) مذهبًا آخر، فهو يفترض في مقدمة الترجمة اطِّلاع فتغنشتين على نصِّ المحاضرات، إذ يقول: "أمَّا في ما يهمُّ اللسانيَّات وفلسفة اللسانيات فيبدو أنَّ تأثير سوسير واضحٌ، ولو أنَّه غير مباشرٍ، وربَّما كان عن طريق ماوثنر، الذي يُشير إلى المصنّف لتعريف الفلسفة، حيث وجد عنده ما كان بحاجةٍ إليه، فهو يُناقشُ إحدى أهمِّ طروحات دي سوسير الذي يعتبر أنَّ مدلول الرمزِ اللغويِّ يتمثَّل في المفهوم باعتباره صورةً ذهنيَّةً تُثيرها الصورة الصوتيَّة، وما نجده بين ظفرين في بطاقات(ليس للرمز حياةٌ خارج النظام)هو جملةٌ تُناسب تمامًا نظريَّة سوسير السيميائيَّة"[١٤:ص٢٤].

لقد ظهرت في السياقِ الغربيِّ أبحاثٌ متعدِّدةٌ حاولت فحصَ العلاقة بين نصوص العالمَيْنِ، ويذكر فلاح رحيم مترجم كتاب روي هاريس عددًا من الأبحاث التي وقفت على هذه القضيَّة، تتفق هذه الأبحاثُ في مجملها على

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وجود تشابهٍ بين الرجلين، ولا سيما العلاقة أو الصلة بين الكلمات والأشياء، فهما يؤمنان بعدم وجود علاقة، ذلك أنَّ الصلة تنشأ بفعل قواعد اعتباطيَّة، ذات بعدٍ اجتماعيٍّ، فضلا عن اتفاقهما على أولوية التزامن على التعاقب، والتشابه الأكبر يتضح من تأكيد العالمين على النظر إلى اللغة على أنَّها نمطٌ من الألعاب، فكلاهما يستشهد بلعبةِ الشطرنج" وجاذبية هذا التشبيه بالنسبة لمن يرفض نزعة التسمية من المنظرين واضحةُ السبب لتفسير ممارسة اللعبة لا تقوم حاجة إلى النظر في العلاقات مع أشياء تقع خارج نطاق اللعبة ذاتها"[١٣:ص ٦٤].

لقد كانت لعبة الشطرنج استعارة الرجلين المفضّلة في فهم اللغة، وصياغة أبعادها، إذ يرى دي سوسير أنَّ اللغةَ نظامٌ من العلامات التي ترتبط بعلاقات، يحدّدها النظام، مشبِّهًا إيَّاها بلعبة الشطرنج، حيث تكون قيمةُ البيادق متأتيةً من موضعها داخل(النظام)، ولا علاقة للمادة التي صُنعت منها البيادق بقيمته، التي تتضح من طريق العلاقات داخل النظام.

وفي ضوء هذا التصوُّر طرح دي سوسير فكرته المهمَّة عن (القيمة)، وهي فرضيةٌ تمثِّل عماد النظرية السوسيرية؛ إذ أكَّد بموجبها أهميةَ العلاقات بين الوحدات اللسانيَّة، التي تتضح في إطار النسق العام، وأنَّ العنصر اللغويَّ لا قيمة له إذا كان معزولاً عن العناصر اللغوية الأخرى، وهو مفهومٌ نقله دي سوسير من العلوم الاقتصاديَّة [١٥:ص٦٣]، وشكَّل علامة بارزةً في نظريَّته اللسانيَّة، ولعلَّ في ذلك تفسيرًا لإلحاح دي سوسير المتكرِّر في محاضراته على أنَّ اللغةَ نظامٌ من القيم الخالصة[١٥:ص ١٣٤].

لقد حدَّ دي سوسير اللغةَ بكونها نظامًا "يعتمد كليًّا على التقابل بين وحداته الملموسة"[١٥:ص١٢٦]، وهذه الوحداتُ هي عبارةٌ عن عناصر يعتمد بعضها على بعض، ولمَّا كانت اللغةُ – بحسب دي سوسير – نظامًا من القيم، فإنَّ أيَّ عنصرٍ من عناصر هذا النظام لا تتضح قيمته ولا تتبدَّى إلاّ عبر وجود العناصر الأخرى في وقت واحد[١٥:ص١٣٤]، ذلك أنَّ عناصر النظام اللغويِّ لا تمتلك قيمةً بذاتها، وإنَّما تتأتَّى قيمتها من تعارضها وتخالفها مع العناصر الأخرى؛ إذ لا توجد في اللغة سوى الاختلافات، فهي مؤسَّسةٌ على التعارضات[١٦:ص ٢١٨]، يقول دي سوسير: "أمَّا في اللغة فلا يوجد سوى الفروق أي العناصر السلبيَّة دون العناصر الايجابيَّة، وسواء أخذنا المدلول أو الدال فإنَّ اللغة لا تملك أفكارًا ولا أصواتًا لها وجودٌ قبل النظام، والنظام اللغويُّ سلسلةٌ من الفروق الصوتيَّة ترتبط بسلسلة من الفروق في الأفكار"[١٥:ص١٣٩].

ولا يتجلَّى مفهوم القيمة عند دي سوسير إلاّ في إطار النسق، بوصفه "مجموعة من العناصر المترابطة التي تشكل كلاًّ واحدًا" [١٧:ص١٥٩]، والنسق في النظرية السوسيريَّة معادلٌ للغة؛ لذا نجد دي سوسير يؤكِّد دائما أنَّ اللغةَ نسقٌ من الاشارات التي لا تعترف إلاّ بنظامها الخاص[١٥:ص٤١]، ويتطلَّب النسق – كما نعلم – وجود عناصر ترتبط فيما بينها بنوعٍ معين من العلاقات.

ويُعطي دي سوسير الأولويةَ في البحث للنسق وصولاً إلى العناصر الأخرى، ولا يعطيها إلى العناصر وصولاً الى النسق، إذ "لا شيء يتميَّز قبل البنية اللغوية"[١٨:ص٦٩]، ولا شكَّ في أنَّ مثل هذا التأسيس "هو الذي يُخرج الدلالة من أُفق التعامل مع اللغة بوصفها كلماتٍ، كلُّ كلمةٍ معزولةٍ بذاتها إلى أُفق التعامل مع اللغة بوصفها نسقًا به تترتب الكلمات لتقول ممكنها الدلاليَّ، وفق تركيبها الخاص، صوتًا في كلمة، وكلماتٍ في جمل، وجملاً في

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

نصٍّ" [١٧:ص١٠٢]. فلا يجوز – بحسب سوسير – أنْ يبدأ المرء بالعناصر اللغويَّة، ويبني منها النظام من طريق الجمع بين هذه العناصر، بل "ينبغي للمرء أنْ يبدأ من الكلِّ المترابط الأجزاء، ويتوصَّل الى عناصره عن طريق التحليل" [١٥:ص٦٥]، وتأسيسًا على رأي دي سوسير هذا "لم تعد النظرة (العلميَّة) إلى الأشياء نظرةً جزئيَّةً تصل الى معرفة الكلِّ عبر الجزء وخصائصه، فلا الجزء هو نفسه مع الكلِّ، ولا الكلُّ هو مجرد مجموع أجزائه فقط، بل الأهم هو (العلاقة) التي تسود بين الأجزاء، وتحدِّد النظام الذي تتبعه الأجزاء في ترابطها، والقوانين التي تنجم عن هذه العلاقة، وتُسهم في بنيتها في الوقت نفسه" [١٨:ص٦٨].

ولمَّا كان النسقُ نظامًا محايثًا للعناصر التي تؤلِّفه يتبيَّن لنا أنَّ أيَّ خللٍ يصيب أحدهما النسق/العناصر سيصيب – لا محالة– الآخر، وللتدليل على هذا الأمر يسوق دي سوسير مثالاً عن لعبة الشطرنج، فقيمةُ كلِّ قطعةٍ تعتمد على القطع الأُخرى إلى حدٍّ ما، كما أنَّ تحريك قطعةٍ واحدةٍ لا يُغيِّر مصيرها وحدها حسب "بل يُعيد تقويم شبكة العلاقات بين القطع بأكملها، وهذا التشبيهُ ينطبق على اللغة إلى حدٍّ كبير" [١٩:ص٢٩].

وفي السياق نفسه يكتب فتغنشتين لتأكيد نظرته إلى اللغة على أنها لعبةٌ ما نصُّه: "إننا نتكلَّم عن الظاهرة المكانيَّة والزمانيَّة للغة، لا عن نوع من الخيال أو الوهم اللامكانيِّ واللازمانيِّ...إلا اننا نتكلَّم عن اللغة كما نتكلم على قطع الشطرنج، حينما نكون بصدد تقرير قواعد اللعبة، وليس وصف خصائصها الفيزيائية. إنَّ السؤال(ما هي الكلمة في حقيقتها؟)مشابهٌ للسؤال(ما هي قطعة الشطرنج؟)"[١٣:ص٦٤]

ولهذا التشابه المعرفي بين العالمَيْنِ عمد روي هاريس في كتابه إلى سوق أقوال سوسير ثم أعقبها بنصوص فتغنشتين التي تُحاكي أفكار سوسير؛ مفترضًا التأثر، في حين يميل دارسون آخرون إلى وضع أفكار فتغنشتين في موضع الصدارة، بوصفها أساسًا لفهم وإدراك المنعطف اللغوي وإمكاناته، فهو يمثِّل خلاصةَ الاتجاه، على نحو ما يرى الباحث محمود شوكت شتيه، إذ يقول: "وقد اتخذت الانعطافة اللغويَّة في الفلسفة مساراتٍ متعددة، ولكنَّنا نستطيع أن نميِّز بين خطين أساسيين: الخط الأول يتمثَّل بفلسفة التحليل اللغويِّ التي افتتحها فلاسفةٌ كبارٌ أهمُّهم مور وراسل وفريجه وكارناب، والخط الثاني هو الثورة الألسنية التي قادها سوسير، التي اتخذت الطابع البنيويَّ، وكان من أعلامها رولان بارت وميشيل فوكو وجاك دريدا وليفي شتراوس. تكمن أهمية فتغنشتين أنَّه يمثِّل كلا الاتجاهين، وهو يعدُّ مرجعًا مهمًّا لكليهما، وتشكِّل مفاهيمه ومقارباته أساسًا نظريًّا لكليهما"[٨: ص٧٦].

وينبغي لنا في النهاية الإشارة إلى أنَّه على الرغم من فرضية التشابه بين فكر العالمَيْنِ في النظر إلى اللغة، وترجيح فرضية التأثُّر، بسبب الفارق الزمني بينهما، وهو ما يميل إليه الباحث ينبغي لنا أن نُدرك أنَّهما كانا في الوقت نفسه شديدَي الاختلاف، فاللغة عند سوسير كانت هي الهدفَ والغاية، في حين نظر فتغنشتين إلى الفلسفة على أنها نقدٌ للغة، فضلا عن إيمان الأخير بدراسة اللغة في بعدها الاستعمالي، رافعًا شعار أنَّ المعنى هو الاستعمال، فغايته كانت فلسفيَّةً لا لغويَّةً، في حين رفض سوسير دراسةَ الكلام المُستعمل، مركِّزًا في اللغة المرتبطة بالمجتمع؛ لأنَّ ذلك يوفِّر لها الاستقرارَ والثبات والدقة، وهو ما يجعل الدراسة اللسانيَّة دراسةً علميَّةً،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وهذا الاختلافُ في النظر إلى اللغة منطقيٌّ جدًّا لاختلاف الموضوع المدروس، فضلا عن الغاية التي توجب وجود هذا التباين.

الخاتمة:

١- قدَّم البحث كشفاً تاريخيًّا للكيفيَّة التي تعاطى بها الفلاسفة المحدثون مع اللغة، ولا سيما فلاسفة اللغة التحليليَّة، وفلسفة اللغة العاديَّة.

٢- أشار البحث إلى الأسس التي استند إليها الفلاسفة في تصنيفهم الفلسفيِّ للغات.

٣- قدَّم البحث الأسس المعرفية التي تمَّ بموجبها تصنيف اللغات على صنفين: اللغات الطبيعية واللغات الاصطناعية، مع الوقوف على الأسس التي فُضِّلت بموجبها إحداهما على الأخرى في التحليل الفلسفيِّ.

٤- بيَّن البحث التحولات المعرفيَّة في مقاربة الظاهرة اللغويَّة عند الفيلسوف النمساوي لودفيغ فتغنشتين، وأنَّ هذا معالجته للغة مرَّت بثلاث مراحل، وبعض الباحثين قصرها على مرحلتين، مع بيان السبب في تحوُّل فتغنشتين من الفلسفة التحليليَّة إلى التأسيس لفلسفة اللغة العاديَّة.

٥- أشار البحث إلى الموازنة التي شاعت في الأدبيات الفلسفيَّة واللسانيَّة بين سوسير وفتغنشتين، نتيجة إيمانهما بعددٍ من المقولات، التي شكَّلت علامةً فارقةً في كتاباتهما، ولا سيَّما النظر إلى اللغة على أنَّها لعبةٌ، وهو التوظيف الذي كان واضحًا في مقاربة كلا العالمين.

٦- يميل الباحث إلى القول بإمكانيَّة اطِّلاع فتغنشتين على نصِّ محاضرات سوسير، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، من طريق بعض طلابه، استنادًا إلى الفارق الزمنيِّ بين العالمين، على وفق ما تمَّ بيانُه في البحث.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع:

[١] في فلسفة اللغة، د.محمود فهمي زيدان، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥م.

[٢] الفلسفة اللغويَّة وقضايا اللغة-قراءة في التصوُّر التحليليِّ، بشير خليفي، ط١، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف، بيروت، ٢٠١٠م.

[٣] نظريَّة العلامات عند جماعة فينا-رودولف كارناب نموذجا، ط١، د.محمد عبد الرحمن الجابري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٠م.

[٤] النسبيَّة في الفلسفة الغربيَّة المعاصرة، د. أكرم مطلك محمد، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠١٢م.

[٥] الإنسان في الفلسفة اللسانيَّة قراءة في إبستمولوجيا اللسانيَّات، أنفال جاسم، ط١، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠٢٠م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٦] قضايا إبستمولوجيَّة في اللسانيَّات، د.حافظ اسماعيلي علويّ، د. امحمد الملاخ، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٩م.

[٧] فتجنشتين، هانس سلوجا، ترجمة وتقديم صلاح إسماعيل، ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م.

[٨] لودفيغ فتجنشتين من اللغة المنطقيَّة إلى منطق اللغة، د.محمود شوكت شتيه، بحث منشور في مجلة دراسات في العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، المجلد ٤٦، العدد ١، المحلق ٢، ٢٠١٩م.

[٩] مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيته بارتشت، ترجمة، أ.د.سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار، مصر، ٢٠٠٤م.

[١٠] التحليل اللغويُّ عند مدرسة إكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م.

[١١] تصوُّر اليقين عند فتجنشتين، ميشال ميتاس، مجلة عالم الفكر، العدد ٤، السنة، ٢٠٠٢م.

[١٢] معجم إكسفورد للتداوليَّة، يان هوانغ، ترجمة وتقديم هشام عبد الله الخليفة، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٢٠م.

[١٣] سوسير وفتجنشتين فلسفة اللغة ولعبة الكلمات، روي هاريس، ترجمة فلاح رحيم، ط١، منشورات جامعة الكوفة، بيروت، ٢٩١٩م.

[١٤] تحقيقات فلسفيَّة، فتجنشتين، ترجمة عبد الرزاق بنور، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧م.

[١٥] علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز، مراجعة د.مالك المطلبيّ، آفاق عربيَّة، بغداد ١٩٨٥م.

[١٦] اتجاهات البحث اللسانيِّ، ميلكا افيتش، ترجمه عن الآنجليزيَّة د.سعد عبد العزيز مصلوح، ود. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القوميّ للترجمة، د.ت.

[١٧] اللسانيَّات والدلالة، د.منذر عياشي، ط٢، مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٧م.

[١٨] دليل الناقد الأدبيّ، د.ميجان الرويلي، ود, سعد البازعي، ط٤، المكز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.

[١٩] مدارس اللسانيَّات، التسابق والتطوُّر، جفري سامسون، ترجمة محمد زياد كبة، الرياض، ١٩٩٤م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq